

# بابا الخليفة الثالث

البايون الثالث عشر - ترجمته

في يوم الاثنين الماضي ( ٢٠ يوليو ) توفي عظيم النصرانية ورئيس الطائفة الكبرى فيها بابارومية عن ثلاث وتسعين سنة قضى جلها في خدمة مذهب الكاثوليكي منها خمس وعشرون سنة أو ربع قرن في منصب البابوية وقد كان لسياسة من التأخير في عالم النصرانية والمدنية ما لم يكن في حبان أحد من العالمين وكتب هذه السطور يعتقد أنه كان أعقل رجال أوروبا وأعلام كبا في السياسة. واننا نذكر من ترجمته ما فيه العبرة للمسلمين كما يليق بمجلة إسلامية مثل المنار فلا تقل أيها المسلم ما هذه المجلة الإسلامية ، ولزعماء النصرانية ،

الكاثوليك أكثر فرق النصارى عددا واعتقادهم في البابا كاعتقاد أكثر المسلمين في الخليفة أو أمير المؤمنين من حيث الرياسة الدينية والنيوية في الجملة وكاعتقاد بعض الفرق الإسلامية في وجوب عصمة الامام الحق ثم انه ينتخب من طائفة مخصوصة ولا يأخذ هذا المنصب بالوراثة وتلك سنة الاسلام في انتخاب الامام من طائفة مخصوصة. قال باقوت في معجمه « والبابا رئيس الفرنج هو عندهم نائب المسيح كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين ينفذ أمره في جميع ما يتعلق بالدين في جميعهم » وقال الشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق : « وفي مدينة رومة قصر الملك المسمى البابة وليس فوق البابة فوق في القدر والملوك دونه ويقيمونه مقام الباري جل وعز — الى ان قال — وحكمه نافذ ماض على جميع ملوك الروم ولا يقدر أحد منهم يرد عليه » وقال أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان عن أهل بيزة « وليس لهم ملك وانما مرجعهم الى الباب خليفة النصارى » وقال عن رومية : « وهي مدينة مشهورة ومقر خليفة النصارى المسمى بالباب » وقد تكلم ابن خلدون عن هذه الرياسة وصاحبها بايضاح تام ولهذا كله قال بعض علماء أوروبا ان البابوية أو النصرانية مقبسة من الاسلام

جاسي لاون الثالث عشر على كرسي هذه الخلافة ( سنة ١٧٢٨ م ) وأوربا بقضها وقضها

وعلمها وصنائعها ومدنيتها ، مادية للكاثوليك أشد من معاداتها للإسلام لأنها تعتقد ان الكاثوليك والبابوية من الامراض الباطنية التي أصابت الوطن في القلب والهيكل والريتين فهي تفتأ تفكك به حتى تبيده فالكثلكة خطر في الباطن تحارب خوفاً وحذراً من شرها وأما الاسلام فهو عدو على البعد يحارب طمعا في أرضه ودياره . ولكن البابا لاون الثالث عشر حول سياسته ودهائه ذلك الهداء الى ولاء ، وذلك الاستخفاف والاحتقار ، الى اجلال واعتبار ، والفضل في ذلك لحسن الانتخاب والاختيار ، اذ لو كان هذا المنصب وراثيا لما ارتقى اليه مثل هذا الرجل

ولد لاون الثالث عشر (وكان اسمه قبل البابوية بيشي) في ٢ مارس سنة ١٨١٠م في بلدة كاريننو من ايطاليا وتعلم التعليم الابتدائي في مدرسة الجزويت ببلدة فيرب وجارومية سنة ١٨٢٤ وأتم دروسه بمدرسة الجزويت فيها ثم بمدرسة رومية الجامعة ومعنى أوال بالعلوم الطبيعية والكيمياء حتى نبغ فيها ثم اشتغل بأداب اللغة اللاتينية حتى عد من الكتاب البغاء والشعراء المجيدين ثم درس علوم الفلسفة واللاهوت فأنتهتها ومنح لقب «دكتور» في الفلسفة . ثم وجه عنايته الى علم الحقوق فبرع حتى أخذ الشهادة المالية فيه من مدرسة رومية الجامعة

وفي سنة ١٨٣٧ عين قساً وناظراً عن البابا في بعض البلاد وفي سنة ١٨٤٣ عين رئيساً لاساقفة دمياط ثم وكيلاً للبابا في بروكسل عاصمة بلجيكا فأقام في تلك البلاد ثلاث سنين منحه ملكها في آخرها وسام (ليوبولد) من الدرجة الأولى وهو من أعلى الوسامات عنده . وفي سنة ١٨٤٦ عين رئيساً لاساقفة بيروز . وقد لبث في منصب الاسقفية ٢٢ سنة كان فيها حسن السلوك يستيب اللصوص والبغاة المعتدين حتى خلت مهم السجون التي كانت عمئاة بهم قبل عهده . وفي سنة ١٨٧٧ صار كردينا ومديراً في الفاتيكان والكنيسة الرومانية . وفي سنة ١٨٧٨ توفي البابا بيوس التاسع فانتخب خلفاه . وقد ذكرنا هذه النبذة الوجيزة في تعليمه وتقلبه في الاعمال الدينية لأجل المقابلة بين تربية رؤسائهم ورؤسائنا حتى لا يهيج أحد من تقدمهم وتأخرنا

إذا سأل المسلم عن كيفية تربية رئيس أمته العام من أمير وسلطان أو وليّ عهدهما أو الرئيس الخاص كشيخ الاسلام في الاستانة وشيخ الأزهر في مصر وسأل ماذا

تعلم هؤلاء من العلوم التي لا بد منها للأمة التي يرأسونها وماهي الاعمال والتماسب التي تقبلوا فيها فظهر استمدادهم لخدمة الأمة فرشحوا لها بسببها؛ فسادا يكون جواب هذا السؤال؟ لعل الاكثرين يجيبونه بأن الواجب علينا ان نقبل رياستهم من غير سؤال عن استمدادهم وعن علومهم وأعمالهم ومن تحدث بشيء من ذلك فهو عدو للأمة والدين، وفترة لجميع المسلمين، وذلك أن الأمة في طور الضعف لا يرضيها الا ان يمدح منها كل شيء وذلك أنها تشمر بفقد مقومات السعادة بالفعل فتحب أن تتخادع نفسها بالمدح كما يتكبر الوضيع ويتفنج ليظهر في مظهر الكبراء

فقد الكاثوليك السلطة الدنيوية سلبها الملوك من البابا الذي كان يفيضها عليهم ولو تسقى لهم في أي يوم من الايام إرجاعها لوجدوا في الفاتيكان رجالا يديرونها أحسن مما يديرها ملك إيطاليا وحكومته في جميع أصولها الادارية والمالية والقضائية والعسكرية لأن رجال الدين عندهم تعلمون كل شيء - رأيتك هؤلاء الذين يدعون رجال الدين في الاسلام اذا قيل لهم - وهم يشكون من خروج الاحكام عن الشرع الا ما يسمونه الامور الشخصية ومحامها على خطر - تعالوا فأديروا أعمال الحكمة الكلية من إدارية ومانية وحربية وقضائية وسياسية (خارجية) وغير ذلك أجدون في الأزهر من يحسن عملا من هذه الاعمال كما يجد الكاثوليك في الفاتيكان؛ أنى وهم الى اليوم يتنازعون بينهم: هل علم تقويم البلدان يقطع على الطالب طريق الدين أم لا؛ الجمهور على انه يقطع وأنه ينبغي ان لا يقرأ في الأزهر. وهل الحساب العملي والهندسة العملية يفسدان العقل حتى يفسد استمدادنا في العلوم الدينية أم لا؛ الجمهور على أنه يفسد العقل وينبغي أن لا يدرس في الأزهر كما صرح بذلك الشيخ (ثابت بن منصور) والشيخ محمد راضي البحر اوي من كبار المدرسين هناك في مقالاتهما المنشورة في المؤيد ثم أنى يجدون في الأزهر من يحسن عملا ما واپس فيه من يعد العمل ما الا انقضاء الشرعي وهؤلاء انقضاء اسارجون منه تبكي من سيرة أكثرهم السماء والارض وتستحيث العدالة بلسان المظلومين المضمومين بأن يشتدوا بالله منهم ويرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون .

ولقد كان رجال الكاثوليك في يوم هضى مثل رجال الأزهر يمدون كل علوم

العمران حجاباً دون الدين حتى كأن الدين آلة الخراب والدمار وكان أكثر علمهم على رأي رجال الدين كما هو الشأن عندنا حتى اليوم . ولكنهم لم يابثوا ان غلبوا على ان بقاء الدين محال ما لم تجمل علوم العمران نصيرته فكفوا على المعلوم حتى برعوا في جميع فنونها فمدارسهم جامعة تفوق غيرها نظماً وإجكاً وعلماً واهم من القسيسين وغير القسيسين مستعدون لكل عمل يرتقي فيه العمران . فحق يمود قلوبنا الى هذا وهم أحق به من كل أحد؛ أنت يا رب المسئول بتوفيق الغلاة لاسي واليك وحدك المشتكى قلباً ان لاون الثالث عشر تدولي البابوية والاختار محقة بها من كل جانب فقد كان في عهد سلفه بيوس التاسع ما كان من الثورات والاقطلاب حتى نشر على عهده في باريس (إعلان) في تحريض بلاد ايطاليا على انشاء جمهورية ايطالية لا يكون فيها بابا ولا دين بالمرّة . وأصابت البلاد سنة فذهب الجماهير الى ان اغل والقطط من شؤون السلطة البابوية . وقد أشاع المرجفون على عهده بأن النمسا تعضد وؤامرة سرية على خلع البابا واقامة حكومة عسكرية في البلاد البابوية كلها فاضطربت رومية وكثرت فيها الهرج ومجزت الحكومة عن ضبط النظام اذا كانت المدينة غاصة بجماهير المسلحين من الاهلين . ثم قدح مجازن الشوري فطلب إمطة الاعمال الادارية بالعوام (يطلق لفظ العوام في مقابل لفظ الاكيروس في اصطلاحهم) وحرية المطابع وطرده اليسوعيين (الجزويت) وإعتاق اليهود وكان الشعب التائر يؤيد طلب المجلس . ثم عم الهياج بلاد ايطاليا من شمالها الى جنوبها وكان على أشده في رومية وتوقع الناس سقوط الدولة البابوية من الارض وقل احترام البابا في البلاد الاجبية حتى ما كان يجد نصيراً ونقول بالاختصار انه لم يستقر للسلطة البابوية قرار من بعد ثورة فرنسا سنة ١٨٤٨ بل كانت الفتن تنفام يوماً بعد يوم وقد أظهر البابا بيوس التاسع من حمية الاصلاح واردة الخير للشعب ما لمزيد عليه ولم يتحص ذلك من قوة الحزب الجمهوري شيئاً . ولقد بانغ من الاستهانة بالبابا ان كتب الى امبراطور النمسا يلتمس اخراج عساكره من ايطاليا فكان كتابه سخرية في قينا بعد أن كان لامرداً لامره ولا معقب لحكمه . وحدث في هذه السنة من لاحداث ما زرع الكرسي البابوي من الشعب الذي كان يقول ان هذا الكرسي هو كرسي بطرس الرسول نائب المسيح . وهن ذلك اتفاق

الشمب والحرس المدني والصاكر المنظمة والحيش الروماني على محاصرة الكويرنال وقتل أمين أسرار البابا وإكراهه بمد ذلك على قبول وزارة إصلاحية وجملة كالاير في قصره تاركا الاحكام الدينية والمدنية جميعا حتى اضطر الى الفرار متكرراً بيثة قسيس الى غايتا ثم اشتعلت نيران الفتن والثورات في جميع البلاد اتبسته كما أشرنا الى آفاً حتى خسر سلطه في تلك البلاد . وسنذكر نبذة من سلوك لاون الثالث عشر في مقاومة الاخطار ، وصرف التيار ، وما في ذلك من العظة والاعتبار ،

### ﴿ الخديو وجمعية المسلمين في لوندوه ﴾

زار عزيز مصر في هذا الصيف عاصمة الانكليز بصفة غير رسمية فلقى من حفاوة ملك الانكليز وكبار أسرته ورجال حكومته ما كان فوق الحسبان . وقد زار سموه في تلك العاصمة وفد من جمعية الاتحاد الاسلامي فيهارئيسه السيد علي البلجرامي الهندي الشهير فخطب خطبة بلدان الوفد رحب فيها بالزير وذكّر مقتضا الجمعية وسعيها في ترقية المسلمين والتأليف بين شعوبهم ووصف الامير بتأييد المسلم واقترح بالازهر وذكّر ما سمع من عود الحركة العلمية اليه بعد سكونها . فأجاب الامير بأنه قد سره ان تكون هذه الجمعية جامعة لافراد من طوائف المسلمين المتفرقة على الاتحاد وقال كلمة كبيرة وهي « ان الاسلام دين اشتراكي بأمر بالمساواة بين الغني والفقير ، والكبير والصغير ، » ثم ذكر استيائه من قلة عدد المجاورين الهنديين في الازهر وانه يرجو ان يزيدوا في مستقبل الايام . ثم ذكر الحج والحجاج وقال انه يجب ان يسهل الحج على مساهي كل الاقطار لانه من أركان الدين فاذا أهمل المسلمون فريضته حلت بهم الارزاء لاهمال دين قويم يعتقد به ٣٠٠ مليون من الناس »

وعندنا ان اجتماع امراء نابرجال هذه الجمعيات مفيد جدا للمسلمين . وعسى ان يتسبر بكلمة الامير بعض الاحداث من رعيتك الذين يكتبون ويخطبون للتفريق بين المسلمين باسم الوطنية ويسمون المسلم السوري في مصر دخيلا . واما اقبال الهند ووخيرهم على الازهر فهو موقوف على ترقية التعليم فيه وذلك بيد الامير ووقفه الله تعالى . والافاننا لاننا ان ينفر المصريون منه بعد حين الافارا من العسكرية ، أو طجز أعن الكسب فتخذه له تكية ،

## ﴿ لاثم مليم ﴾

تألم مما كتبناه عن قراء الصحف رجل هضم حقوق النار ستين أو ثلاثا كان يعد ويمطل ثم صرح بأنه لا يجوز أخذ قيمة الاشتراك منه لأنه كاتب وأديب ولم نعرف عن غيره ان تعريف الأديب او خاصته هضم حقوق خدمة العلم والدين والآداب. تألم فكان طول ليله يحسو كؤوس اللداه ، ويسدد لنا سهام اللداه ، ويجرح ضم سماره بالأديب ، على اتباع سنة صاحب اللواء ، في معاداة الذين يسميهم الاخلاء ، بأن ينثروا عن النار وصاحبه لأنه ذكر المصريين في مقال يذكر فيه معاملة الأمم وأصناف الناس لقراء الصحف فضل فيه بعض البلاد على بعض وبعض الأصناف على بعض . وكان ان هذا يعد شيا للمصريين .

ونريد بهذه المناسبة ما كنا كتبناه من قبل وهو أن أكثر المشتركين في النار من أهل الفضل والدين والكثيرون منهم يدفعون قيمة الاشتراك من غير مطالبة حتى انه لا يكاد توجد جريدة أو مجلة منتشرة مثل النار ليس لها وكلاء الا في بلدين أو ثلاثة بلاد . ولم نكتب ما كتبناه تألما منهم ولكن عظة وذكري وإنا نحن المتصرون اذ نتمر السنة بهم السنة ولا نطالب الواحد منهم بشيء . نعم ان فيهم من يمطل ولكن لا يكاد يوجد فيهم من يهضم الأسماء حفظ نحن منهم في شك وعسى ان يصالح الله حالهم

## ﴿ جريدة المناظر - ابطالها ﴾

سبق ان نوها بهذه الجريدة التي يصدرها في سان باولو (البرازيل) نوم أقدى لبكي السوري وسبق ان اقتخرنا بهضة السوريين المهاجرين الى أمريكا في الآداب لأجلها فانا كنا معجبين بحرية هذه الجريدة وإضافها وشدة غيرة منشئها على قومه وجه لجنسه ولوطنه وحسن اختياره فيما يكتب وتوخيه النفع فيه . ومن دلائل طفولية الشعوب الشرقية - حاشا اليابان - ان يضطر صاحب هذه الجريدة اذ انقضى الى ابطالها بعد جهاد بضع سنين . أقول الحق ولا أستحي من رصفائي الفضلاء: انه اذا صح الاستدلال بضموى الكلام ولحنه على قصد التكلم وغرضه فان صاحب المناظر في مقدمة الخالصين في قصدهم الذين يقدمون نفع قومهم حتى على مصلحة أنفسهم . ويظهر ان أكثر قراء العربية هناك مجهلون بأقدار أهل الاخلاص وأصحاب الوجدان

الشريف ولا هم لهم من الجرائد الا ان يثلثوا بمدح أنفسهم أو ذم أعدائهم  
كتب « حب المناظر نشرة يودع بها الصحافة ووزعها على قراء جريدته . قال في  
أولها « غدا تنضب دمة وتذرف دمة - تنضب دمة هذا القلم ، وتذرف دمة هذا  
الكاتب ، غدا يودع اصحابان بمضهما بعضا لا يرجوان التقاء حيث اجتمعا على مكتب  
الصحافة » وأقول ان كل ذي شعور بقيمة أهل الوجدان الشريف يشارك هذا  
الكاتب في ذرف الدموع ولكن ما أقل الذين يشمرون

وقال ادخل باب الصحافة لثلاثة أغراض - مقاومة فساد الأمة حيث الكلمة  
حرة ، وترقية المهاجرين السوريين ، وتمكين علاقتهم بوطهم لئلا يتبعهم الأمة التي  
هاجروا اليها . وأنا أعتقد أنه صادق في دعواه واحترم أغراضه واحترمه على البعد  
لا ينبغي أعتقد أنه يريد دفع الناس ولكن أكثر جالنا كالأطفال يجنون من يسى في لذتهم ،  
لأمن يسى في منفعتهم ، ولقد كان يجمل كل كلام جليل نافع للناس وان لم يكونوا ممن  
أنشأ لهم جريدته . ومن آية هذا أنه كان ينقل عن انبار مثل مباحث جمعية أم القرى  
ومقالات (الاسلام والتصرانية مع العلم والمدنية ) نعم انه نشر ردًا لبعض المكاتب على  
الثانية فيه شيء من التحامل ولكن لأقول انه هو كان متحاضلا

وقال في سبب إبطال الصحيفة انه كان يعلم ان من يكتب تلك الأغراض لا يكون  
موضوعا للاقبال ولكنه لم يكن يحسب أنه مهمل ويقاوم حتى يعجز عن النفقة عماها  
لانه يقصر في مدح الذين يتجنبون بصير جنديتهم ( السورية ) وفي ذكر حركات  
المشركين؟ وتهاجم في البلاد . وقد نتي ما لم يكن في الحساب  
وبالجملة ان إبطال هذه الجريدة خسارة على السوزيين لا عوض عنها فسي ان يوجد من أهل  
النهضة والتجدة من يسمي في إعادتها ، من حيث يجدون في مساعدتها .

### ( كتاب دلائل الإعجاز )

نشرنا نموذجاً من هذا الكتاب الجميل في البلاغة بالحروف والهوامش التي نظمت فيها  
ومنه يرى الفراء أن المطبعة قد استكملت أنواع الحروف حتى الشكل وصارت مستعدة لطبع  
الكتب وغيرها . اما الاشتراك في الكتاب فهو ١٥ على كبره وحسن ورقه وطبعه وسيكون  
ثمنه بعد تمام الطبع عشرين قرشاً

## ﴿ كينية جمع إعانة سكة حديد الحجاز ﴾

أخبرنا شاعدا عدل ان أحد مختاري القرى في سوريا جمع من كل رجل من قرينته ردياً للإعانة ولكنه لم يدفع مما جمعه إلا نحو ثلثه فاذا كان المتصرف يأخذ ثلث الباقي أيضاً ويرسل إلى الولاية ثلثه وكان الوالي يفعل هكذا فيما يرسله إلى الأمانة فان الذي يبقى الأمانة نحو الخمس حتى كأن المال غنيمه لا يصل إلى بيت المال منه الا خمسة . والسبب في وقوع هذه الحياطة من مثل ذلك المختار الذي لاذمه له ولا أمانة هو عدم نشر كل ما يدفعه الناس هناك في الجرائد وعدم طبع ووصولات سلسلة الأعداد بحاسب بها الجامعون للإعانة . فحسب أن تنبه الحكومة المتهنية في جميع الولايات لتلافي ذلك وأن تأمر باصدار صحف تابعة للجرائد الرسمية في كل ولاية يبين فيها كل ما يدفعه الناس وترسل كل صحيفة إلى الجهة التي ذكر أسماء أهلها فيها . وأن لا يجمع شيء من الإعانة التي يأمر بها السلطان أخيراً إلا بوصولات محتومة سلسلة الأعداد

هذا وقد كثرت الذين يجمعون الإعانة في هذه البلاد ومنهم من لا يوثق بأمانته فيجب على كل أحد ان يحتاط فيما يتبرع به فلا يضعه الا في يد أمين كادارة المؤيد في مصر واللجنة الكبرى التي يرأسها أحمد باشا المنشاوي في الغربية

## السبع والخمسين

## وَالْبَقَالِيدُ قُلُوبُ الْعَابِدِ

## ﴿ عود الى سرد الاحاديث الموضوعه ﴾

مناقب الصديق : - (١) حديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يا بكرة ألا أبشرك « قال : بلى فداك أبي وأمي : قال « ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة » رواه الخطيب عن انس مرفوعاً وقال لأصل له وضعه محمد بن عبد بن عامر وله طرق منها أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر « أعطاك الله الرضوان الأكبر » فقال بعض القوم يا رسول الله وما الرضوان الأكبر ؟ قال « يتجلى الله في الآخرة قامة المؤمنين عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة » رواه أبو نعيم عن جابر مرفوعاً وفي إسناد محمد بن خالد